

الجيش الصكباني

في ضوء الوثائق العثمانية غير المنشورة

م.د. عمار محمد كاظم فرج

جامعة البصرة - كلية الدراسات التاريخية

مما لا شك فيه ان سلطاناً بكفاءة محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) لابد ان يكون استوعب تماماً المشاكل التي كانت تعصف بالدولة العثمانية وباتت سبباً مهماً في عدم استقرارها السياسي والاقتصادي وحتى الاجتماعي وانعكاس ذلك التدهور بشكل واضح على طبيعة حكومته.

وقد تأكد لمحمود الثاني ان احد اهم اسباب عدم الاستقرار في الدولة والفساد الذي عم القوات الانكشارية^(١) التي كان مقرراً لها ان تكون احد المرتكزات المهمة التي يستند اليها السلاطين في حكمهم وعاملاً أساسياً في الاستقرار ودعم موقف السلطان لا ان تكون ، ما هي عليه انذاك سبباً في الفوضى وارتباك عمل الدولة . فقد اصبحت الانكشارية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر قوة عسكرية ضعيفة بعيدة تماماً عن الهدف التي انشأت من اجله وبخاصة ان كبار القادة الانكشاريين ابتعدوا عن ثكناتهم مشتغلين بمهن مريحة لا علاقة لها بالحياة العسكرية وبدأوا ببيع (علوفاتهم) أي مرتباتهم الى الراغبين من الاثرياء كما تباع الاسهم والسندات ولا يجتمعون الا لاثارة الفتن والاضطرابات ، او للمطالبة بعزل سلطات وتنصيب اخر^(٢) ، وعلى الفرار نفسه فقد نظام (التيماز)^(٣) اهميته بكونه مصدر اساسياً لم الدولة بالقوات العسكرية عند الحاجة وبخاصة انه تحول الى شبه ما يكون بالملكية الزراعية الصرفة غير المرتبطة بالدولة .

ادرك محمود الثاني ان عليه التغلب على هذه الصعوبات ، اذ كان يرغب في ان يكون حاكماً قوياً للدولة العثمانية ، ومن استقراء الوقائع التاريخية يتضح ان السلطان كان قد قرر المواجهة^(٤) . فبعد فترة قصيرة من تسلمه السلطة عمل على استبدال الجيش الانكشاري^(٥) بقوة عسكرية جديدة تاتم بواامره وتدين له وحده بالولاء وليس لها أي ارتباطات^(٦) .

ان محاولات الاصلاح التي سبقت ان حصلت في القرن الثامن عشر كانت باشراف خبراء اوربيين، وكان اخرها وصية السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧)، لولي عهده محمود الثاني^(٧) والتي جاء فيها: "... ابني محمود انت املي، مستقبل الدولة بين يديك، واذا لم تستطيع ان تطبق عسكر جديد سكيان فانه لا يوجد لهذه الدولة نجاح .. اعطى روح جديدة للدولة بواسطة هذا النظام، وخذ العبرة من اخطائي"^(٨) لذلك كان من الطبيعي ان يكون اصلاح المؤسسة العسكرية من اولويات خطط السلطان محمود الثاني بالتركيز على انشاء جيش جديد يكون اكثر تنظيمياً وتجهيزاً وتدريباً من الانكشارية. عليه يمكن القول ان بدايات تشكيل هذا الجيش كانت في عام ١٨٠٨، حينما دعى السلطان الى عقد اجتماع في قصره القريب من اسطنبول قادة الجيش وحكام الاقاليم والعلماء، للتباحث بخصوص تنظيم قوة عسكرية جديدة مستقلة عن الوحدات القديمة^(٩).

وفي السابع من شهر تشرين الاول من السنة نفسها، اجتمع الحاضرون التوقيع على سند الاتفاق التي تالفت من مقدمة وثلاث مواد وملحق. وجاء في المقدمة "تاكيد المجتمعون على ضرورة الوقوف الى جانب السلطان لتنفيذ بنود الوثيقة"، اما فقرات الوثيقة فقد نصت الاولى على "الزام الانكشارية في اوقات السلم بملازمة ثكناتهم، وخصوصاً غير المتزوجين". في حين اكدت الثانية على "قطع المرتبات عن لا يخدم حقيقة، ومنع بيع الوظائف التي كان يمارسها قادة الانكشارية ومنع بيع مرتباتهم"^(١٠) ونصت الثالثة "على ضرورة مواظبتهم على حضور التدريبات العسكرية وتسليحهم بالاسلحة الحديثة". وفي ملحق الوثيقة، أكد السلطان على ضرورة تنفيذ هذه المقترحات بحزم وقوة متحصناً بموافقة المجلس الذي دعا اليه وبالفتوى التي حصل عليها من شيخ الاسلام^(١١).

ومع الانتهاء من توقيع "وثيقة الاتفاق"، تم تعيين مصطفى باشا بيرقدار^(١٢) بمنصب الصدر الاعظم في العاشر من تشرين الاول ١٨٠٨، تعبيراً عن ثقته لانه من مؤيدي انشاء جيش جديد منفصل عن الانكشارية، والقاضي عبد الرحمن باشا وزيراً للحربية في الجيش الجديد بلقب "وزير الامور الجهادية"^(١٣)، وبمساعدة بعض رجال النظام الجديد عمرو سبهادي نيزارتين، واختيار بعض اغوات الانكشارية من السكبانية^(١٤). وتم اختيار منطقة معزولة عن العاصمة لتدريب افراد الجيش الجديد بعيداً عن السكان ووحدات الجيش القديم التي ستنتظر بقلق الى هذا الجيش، وتعيين بعض الخبراء الاوربيين لتنظيمهم وفق النهج العسكري الاوربي^(١٥). مما يدل

على ان امر الجيش الجديد في هذه الفترة ليس سرأين السلطان والصدر الاعظم كما تذكر بعض المصادر. وانما حتى لا يخضعوا الى تاثير الجيش الانكشاري والاختلاط بالسكان مما يضعف ولاءاتهم للسلطان العثماني.

في الرابع عشر من تشرين الاول ١٨٠٨، تم الاعلان عن تأسيس الجيش الجديد باسم (سكبان جديد)^(١٦). ولم تكن هناك اية معارضة، فيما عدا بعض التساؤلات حول اذا ما كان سكبان جديد سيكون مستقلاً ام جزءاً من الانكشارية. كان الجيش يضم حوالي ثمانية عشر الف جندي وعدد من الضباط، اكثرهم من النظام الجديد، الذي أسسه محمود الثاني^(١٧).

وقفت الانكشارية الى جانب القوى العثمانية المعارضة لسياسة السلطان محمود الثاني الاصلاحية، ذلك ان تأسيس جيش منظم يمكن الاعتماد عليه في مواجهة الاخطار المحتملة، يعني احتمال الغاء قوات الانكشارية. وبهذا اشعر الانكشارية بان مصالحهم معرضة للخطر^(١٨).

لذلك قام قسم منهم بمهاجمة السراي الحكومية في العاصمة واضرموا النار فيها، لاجبار الصدر الاعظم الى تسليم نفسه غير انه ظل يدافع هو ومن معه حتى مات حرقاً في تشرين الثاني ١٨٠٨^(١٩).

ولمعالجة الموقف توجه جيش السلطان تسنده المدفعية لقتال الانكشارية الذين ازداد خطرهم بعد اضرارهم النيران في جوانب العاصمة التي كانت معظم ابنيته من الخشب^(٢٠). عندها تدخل رجال الدين خوفاً من توسع دائرة الصراع، فطلب شيخ الاسلام وقف اطلاق النار ومعاقبة المسؤولين من الانكشارية عن تلك الاحداث^(٢١)، مقابل الغاء التنظيم العسكري. فقد اكدت اوامر شيخ الاسلام "يدخل القابوقولو (الانكشارية) الى ثكناتهم، ويلقى البادشاه جيش سكبان جديد"^(٢٢).

وبذلك فشلت محاولات السلطان محمود الثاني باصلاح المؤسسة العسكرية، لان الاستمرار في مشروعه سيثير رجال الدين وسيصبح موقفه السياسي والعسكري صعباً. عندها اعلن في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٨٠٩ الغاء جيش سكبان جديد، وارسال الجنود الى بلدانهم وتوظيف الضباط^(٢٣).

ان التمعن في سياسة السلطان محمود الثاني، تقود الى القول انه نجح الى حد كبير في اعادة الروح الى المؤسسة العسكرية العثمانية بعد التدهور الذي اصاب تشكيلاتها العسكرية التقليدية فيها، على العكس من رأي بعض الباحثين الذين اعتقدوا ان اجراءات محمود الثاني لا تعدو عن كونها محاولة اصلاح فاشلة في تاريخ الامبراطورية العثمانية^(٢٤). وهو رأي دون ادنى شك، فيه الكثير من التجني على جهوده الكبيرة، ولعل ما كتبه سفير روسيا دي بورجو (Di Borgo) في

باريس خير دليل على صحة ذلك، اذ اشار الى ان "تأسيس السكبان الجديد لم يكن سوى تعهيد ضروري للاصلاحات... واناار الطريق للدولة العثمانية"^(٢٥). مما يدفعنا الى القول ان قرار السلطان الغاء جيش سكبان جديد كان محاولة لتهدئة الموقف^(٢٦)، وتاجيل خطة التخلص من الانكشارية الى وقت اخر للتفرغ، لمواجهة الازمات التي اخذت تواجه دولته.

قبل الشروع بمحاولة اصلاح المؤسسة العسكرية ثانية عمل السلطان على تأمين جبهته الخارجية والداخلية، اذ عمل على عقد معاهدة بخارست مع روسيا التي كانت مشتبكة مع الدولة العثمانية في حرب عام ١٨١٢^(٢٧) ثم تفرغ للقضاء على الحركة الوهابية في سلسلة من العمليات العسكرية مستعيناً بوالي مصر محمد علي باشا^(٢٨)، ثم واجه الثورة اليونانية عام ١٨٢١ وتدخل الدول الاوربية، والتي ادت فيما بعد الى منح اليونان الاستقلال التام عام ١٨٣٢^(٢٩)، فضلاً عن بعض الحركات الانفصالية في العديد من الولايات العثمانية^(٣٠).

ومن تتبع تصرفات السلطان يمكن القول انه قرر التخلص من الانكشارية، وقد عبر عن ذلك المؤرخ هارولد تمبرلي (Harold Temperley) بقوله "ان التأثير الواسع على السلطان محمود الثاني في ابادته للانكشارية، لم يات من القصر بل من القبر"^(٣١). لانهم سبق وان قتلوا السلطان سليم الثالث، لاقدامه على اعداد الجيش الجديد، فضلاً عن تجربة والي مصر محمد علي باشا بالاعتماد على الاساليب الاوربية الحديثة في تنظيم قواته، التي ساهمت مساهمة فعالة في قمع الحركة الوهابية، واحتلال عاصمتهم الدرعية عام ١٨١٨ اثرها الكبير على السلطان^(٣٢).

لذلك بدأ بتنفيذ خطته، فبدأ اولاً بالتخلص من زعماء الطريقة البكتاشية^(٣٣) المرتبطة بالانكشارية ثم جمع كبار ضباط الانكشارية والاعيان^(٣٤) وعدد من رجال الدين المؤيدين لسياسة السلطان محمود الثاني الاصلاحية، وبين لهم الاساليب غير المنضبطة التي يمارسها الجنود الانكشارية، عارضاً لهم في الوقت نفسه لائحة تضمنت اصلاحاً شاملاً لنظام الانكشارية، وعند سماعهم بتلك الاخبار اعلن الانكشارية تمرداً ضد السلطان في ساحة (آت ميداني)، فامر الاخير في السادس عشر من حزيران ١٨٢٦ وحدات المدفعية بضربهم^(٣٥)، وفي اليوم التالي اصدر محمود الثاني خطهما يوتي نص على الغاء فرق الانكشارية وكل ما يتعلق بهم^(٣٦).

أن مهمة السلطان العثماني في محاربة الانكشارية لم تكن سهلة ذلك لان خصمه كان يجيد المروعة والكذب مثلما يجيد الحرب. فقد عرّف الانكشارية النغمة ذاتها التي عرّفها السلطان لتنفيذ مشروعه الاصلاحى وخاصة في الجانب العسكري فكما كان السلطان يتمسك بشريعة اصلاحاته وفق النظم الاوربية والتزامه الثابت بالقيم الاسلامية وتعاليمها وقد عبر عن ذلك احد المصلحين العثمانيين بما نصه : " ... اصلاحاتنا وقوانيننا اساسها الدين " (٢٧) فان الانكشارية اعتبروا " ان كل سلطاناً يدخل نظمات الافرنج وعواندهم ويحارب مسلكه وانظمته القواعد الدينية لا يكون صالحاً للملك " (٢٨).

أن استقراءً دقيقاً للوثائق العثمانية الخاصة بالاصلاحات العسكرية يدلنا على عدة حقائق : ان العديد من الوثائق بهذا الجانب كانت قد صدرت عام ١٨٢٦ ، اذ ان الاحداث كانت كثيرة في هذه السنة ، ففيها الواقعة الخيرية (٢٩) والاجراءات الانكشارية المضادة ، وفيها حل الطريقة الصوفية اليكتاشية ، فضلاً عن المراسلات المتبادلة بين السلطان محمود الثاني وسفيره في بطرسبورغ شاكرافندي عشية بدء الاصلاحات العسكرية في الدولة العثمانية ثانية ، بغية اطلاعه على القوى التي شكلها الروس ، وقد اظهر السلطان اهتماماً بذلك فبعد مرور شهر من الواقعة الخيرية بعث السفير العثماني في بطرسبورغ تقريراً الى السلطان محمود الثاني تالف من عشر صفحات تطرق فيه الى الامور العسكرية ، وخاصة في روسيا ، ثم اخذ يصف بالتفصيل مشاهدته لعمل فرقة من القوزاق في روسيا واعجابه بتنظيمهم وكفاءتهم وتسليحهم ، ودورهم في اخضاع العناصر التي كانت تبث بامن واستقرار روسيا ، لذلك اقترح شاكرافندي فكرة تشكيل قوة في اسطنبول على الفرار نفسه ، وعندما اطلع السلطان على تقريره رحب بفكرته (٣٠).

والواضح من تاريخ هذا التقرير ومحتواه ، انه كتب قبل الغاء الفرق الانكشارية مما يؤكد ان السلطان العثماني كان قد خطط لتأسيس قوة جديدة قبل الواقعة الخيرية التي اجمع الباحثون على اعتبارها الحدث الاهم في تاريخ الدولة العثمانية الذي عجل في تنشيط الاصلاحات العسكرية ومؤسساتها الجديدة دون صعوبات . ويلاحظ ان السلطان محمود الثاني كان يحرص على اطلاع المجلس الاستشاري ، بمجريات الامور والاجراءات التي اقدم عليها بهذا الخصوص رغبة منه في اشرآكهم بتحمل المسؤولية ودعم المجهود العسكري الذي خطط له . ففي حكم همايوني بعثه السلطان في عام ١٨٢٦ الى مجلسه الاستشاري ، يقضي بانشاء قوة عسكرية

جديدة مستقلة عن الوحدات القديمة على وفق النظم الأوروبية الحديثة سميت عسكر جديد الصكبان^(٤١). وهي تسمية ذات مدلول عسكري بحت أراد السلطان منه عدم إلحاق الضرر بالاصول العسكرية المتبعة سابقاً في الدولة وتمييزه عن جيش النظام الجديد الذي أسسه السلطان سليم الثالث لعدم إثارة الحمية الدينية نتيجة القضاء على الانكشارية من جهة وسلاحاً بيد السلطان هدفه منع تجدد فتن الانكشارية من جهة أخرى، وقد عبر عن ذلك أحد الباحثين بالقول "عزم السلطان على عمل كبير وهو تشكيل جيش جديد لتأكيد تقارير المجلس الاستشاري بعدم قدرة الجيش الانكشاري الفاسد على مواجهة الأعداء"^(٤٢).

ومن أجل توفير الأموال اللازمة للجيش جديد الصكبان، تم تأسيس خزانة مالية مستقلة تحت اسم الأيرادي الجديد تستمد مواردها من الأقطاعات العسكرية والضرائب الجديدة المفروضة على الانتاج الزراعي^(٤٣). وتم تعيين سليمان آغا مديراً لعموم الصكبانى الجديد، وتولى عمرو سهادي الأمور المالية والإدارية ومنح لقب دفتر دار الأيراد الجديد، في حين أصبح عبد الرحمن باشا، المشرف العام على الجنود المدربين للمهام العسكرية ولقب "تعليمي عسكري ناظري"^(٤٤).

انتقد عدد من المسؤولين العثمانيين والشخصيات العسكرية هذا الجيش، كونه سيؤدي إلى زيادة كفتهم العسكرية مما قد يشجعهم على إثارة الفتن والقلق، ويعلق على ذلك أحد العسكريين البارزين مخاطباً السلطان "ما لرزم الصكبان الجديد، فتحنا الدنيا بالسيف أرونا العدو وبالسيف نخرجه، من يعادي الأتراك نقضي عليه"^(٤٥). لكن محمود الثاني رد على هذه الانتقادات قائلاً "لقد انتهى الزمن الذي كان البلد يقابل فيه بلداً آخر بواسطة القوة العامة لسكانها... إن الأمة في مجموعها كالحديد في باطن الأرض لا بد من صهره وتفتيته وتشكيله وهذا هو الجيش... فالواجب يقضي علينا أن نجند العساكر حسبما يتيسر لنا، وإن نستخدمهم على نحو ما يستوجب الموقف وإن نوفق بين مصالحنا وحالتنا فلا حاجة لأي انتقاد"^(٤٦).

مما لا شك فيه أن تشكيل صكبان جديد لم يكن وليد الصدفة، بل هو حصيلة دراسة دقيقة كان وراءها دوافع منها ما كان دافع عسكري، إذ ثارت اليونان ضد الدولة العثمانية عام ١٨٢٢^(٤٧)، وقد أراد السلطان تجربة قوة صكبان جديد لمعرفة قدراتهم القتالية، وضمان عدم ضياع اليونان ومنع التدخل الأوروبي بحجة الدفاع عن مصالح وحقوق الشعوب السلافية في البلقان^(٤٨)، وكذلك لمجابهة روسيا في حالة نشوب حرب معها، وإعدادهم بشكل أكثر دقة للحروب القادمة^(٤٩) ولنذكر

محمد أمين فكرى "كان السلطان مهتماً بتشكيل العسكر الجديد... ليكون حاجزاً أمام عساكر روسيا اذ حاولت الوصول الى مركز جتالجه القريب من الاستانة"^(٥٠).

وعلى الصعيد الداخلى فان السلطان اراد تقوية السلطة المركزية على الولايات العثمانية البعيدة ومحاربة مراكز القوى اللا مركزية وضرب حركات التمرد والعصيان الداخلى ، كتمرد علي باشا فى البانيا^(٥١) ، ومع تطور الاحداث اخذ التمرد والعصيان طابعاً قومياً ضد الدولة العثمانية. فاراد السلطان محمود الثانى تجربة جيش صكبان جديد فى محاربتهم ، فارسل ما يقارب من الف جندي منهم مع فرقة من المدفعية والخيالة ، تمكن من القضاء عليهم^(٥٢). وقد عبر عن هذه الحقيقة مؤرخ معاصر للاحداث بقوله : "... كانت توزن احادهم بالالف ، وافرادهم باضعاف ، يرون الملاحم ولائم"^(٥٣).

شعر السلطان محمود الثانى بأن هذا الجيش يمكن توسيعه بسلام ودون أي متاعب ، لذلك شرع بتطبيق المهمة التي نفذها على مرحلتين الاولى عام ١٨٢٧ والثانية عام ١٨٢٨. وتم تصنيفه الى ثلاث اصناف: الاولى ، النظامية وتكون مدة خدمتهم اربعة سنوات. اما الثانية وهي المستحقة فيقضى المتطوع فيها ثمان سنوات. فى حين تكون مدة خدمة المتطوع الى الصنف الثالث ، الاحتياط سنة واحدة بعد تسريحه من القوات النظامية^(٥٤).

وفى التشكيلة الاولى عام ١٨٢٧ ، تم وضع قانون ضم عشرون مادة لترتيب كل ما يتعلق بالصكبانىة من الامور الادارية والانضباطية والقيافة والاسلحة والرواتب وعلى النحو التالى :

١- المواد (١-٣) للتشكيلات الصكبانىة وترتيبها

٢- المواد (٤-٧) للزى الصكبان واسلحته

٣- المواد (٨-١٢) للرواتب

٤- المواد (١٣-١٥) للانضباط

٥- المواد (١٦-١٩) للادارة

٦- المواد (٢٠) عربات المدفعية^(٥٥)

يلاحظ ان عدد افراد الجيش الصكبانى الجديد بعد هذا التشكيل لم تكن له احصائية دقيقة سوى ما ذكرته احدى الوثائق العثمانية "بان عددهم فى بداية الامر كان يصل الى ثلاثة الاف واربعمئة وستين جندياً وضابطاً"^(٥٦).

ومن الجدير بالاشارة ان الصكبانىة كان قد اعيد تشكيلها للمرة الثانية عام ١٨٢٨ تحت اشراف ببهك افندى، وكانت هذه التشكيلة اكبر قواعداً من التشكيلة الاولى، وقد تألفت من مقدمة وثلاثون قانون وملحق. جاء فى المقدمة " أعلن مجلس الشورى العسكرى وقوفه الى جانب السلطان لتنفيذ هذه المواد بموجب الفتوى التى حصل عليها من شيخ الاسلام^(٥٧)، اما ترتيب القوانين كالتالى :

- ١- المواد (٥-١) للتشكيلات الصكبانىة العسكرية
- ٢- المواد (٨-٦) للاجماعات العسكرية
- ٣- المواد (١٠-٩) للزى الصكبان واسلحته
- ٤- المواد (١٢-١١) للرواتب
- ٥- المواد (١٥-١٣) للامور الانضباطية والعقوبات
- ٦- المواد (٢٠-١٦) للامور الادارية
- ٧- المواد (٢٣-٢١) للمكافآت
- ٨- المواد (٢٥-٢٤) للمدفعية
- ٩- المواد (٣٠-٢٦) تحديد مواعيد حضور افراد الجيش الصكبانى بجميع افرادهم اذا دعاهم السلطان^(٥٨).

وفى ملحق التشكيلة، أكد السلطان محمود الثانى على تنفيذ هذه القوانين بكل قوة^(٥٩). ظهر فى التشكيلة الثانية زيادة فى عدد الجنود الذين انضموا الى الجيش الصكبانى، بعد عام ١٨٢٩، اذ بلغ عددهم مائة وستون الف جندي^(٦٠). ويبدو ان هذا الرقم مبالغ فيه، وان الزيادة التى حصلت فى عدد الجيش الصكبانى تعود الى حزم وصرامة السلطان فى تطبيق القوانين العسكرية الجديدة.

كان تدريب افراد القوة الجديدة يتم تحت اشراف مستشارين روس وضباط الجيش العثمانى^(٦١) فى تكنة خاصة انشأت فى (لاوند جفتلك)^(٦٢)، وكانوا يعيشون فى خيم وملاجئ مبنية من اخشاب وذلك لان معسكراتهم لم يكتمل بناؤها^(٦٣). اما بالنسبة لزيهم فيلنكر كريسى (Creasy) انه كان مشابهاً للزى الذى يرتديه الجندي النظامى وعلى الصكبانى تحمل نفقات شراءه^(٦٤)، اما الباحث نخلة قلفاط فيشير الى ان زى افراد الصكبانى الجديد يتألف من قبعات بيضاء تدعى (شوبارة) وحلوا شال احمر، وينطلونات وجاكيتات قصيرة كلتاها حمراء اللون^(٦٥) وهذا الراى

هو الاقرب للصحة لان ملابسهم على غرار فرق القوزاق الروسية. فى حين كان سلاحهم عبارة عن بندقية ذات حربة واحدة ، وهذه الحربة هى الفرق الوحيد عن بنادق الانكشارية ، وقد اشارت احدى المصادر ان السلطان محمود الثانى كان قد قرر اعطائهم الاسلحة فى اوقات الحرب والسلم^(٦٦) ، وهذا يدل على ثقته بهم.

تضاربت اراء المؤرخين بخصوص التنظيم فى صفوف الصكبانىة ، فالمؤرخ العثمانى جودت يذكر " ان الجيش الصكبانى الجديد كان بعيداً عن التنظيم العسكرى ، وكان الكثير من قادته لا يعرفون القراءة والكتابة ، بل يجيدون استخدام الاسلحة فقط"^(٦٧) . اما الباحث لويس (Lewis) فقد وصف المؤسسة الصكبانىة بالفوضوية والشغب^(٦٨) . ومن ناحية اخرى اكدت الموسوعة الروسية بان محمود الثانى فشل فى تطبيق القوانين المتبعة بين فرق القوزاق الروسية على افراد الصكبانىة^(٦٩) .

وكثيراً ما كان بعض افراد الصكبانىة يخرجون عن السيطرة ويشكلون عصابات للسلب وقطع الطرق ، وهذا ما توثقه مشاهدات الرحالة ميشاند (Michand) ، فقد اورد ما نصه "ان افراد الصكبانىة كانوا يأتون الى القرى ويجمعون ما فيها من محاصيل زراعية ، اضافة الى الاستيلاء على اموال الكثير من الاشخاص ... وفى احيان كثيرة يقومون بقطع الطرق بوجه المسافرين الاوربيين"^(٧٠) .

أتضح من خلال دراسة الوثائق العثمانية ومتابعة الجيش الصكبانى ، انه كان فى حالة تطور مستمر بدأ باصدار قوانين خصصت لتنظيم عملهم مروراً بتكليفهم من قبل الدولة العثمانية للقيام بمهام عظيمة . وقد عبرت احدى الوثائق العثمانية غير المنشورة عن ذلك بقولها " ... اذ خاضت الدولة العثمانية الحرب فان افراد الصكبانىة ذات التنظيم والتدريب الجيد ستقوم بخدمات كبيرة ، وسيأتى اليوم الذى ستصبح فيه هذه القوة ذات أهمية"^(٧١) . وكان السلطان قد انتقد الصكبانىة فى رسالة بعثها الى أحد اعيان القرى التى تعرضت للاعمال السلب والنهب جاء فيها " ... وقسوا على الرعية وصارت فتنة وهزة قوية ، ولم يتركوا كبيراً او صغيراً الا قتيلاً ... ولم يتركوا بيتاً ولا دكاناً الا استعملوا التخريب ... وغير ذلك مما يعنى الابصار"^(٧٢) . وكاجراء مضاد للتصرفات الصكبانىة اللانظامية أمر السلطان محمود الثانى فى حكم همايونى سليمان اغا مدير عموم الصكبانى الاسراع فى القبض على جنود الصكبانىة المسيئين وارسالهم مخفورين الى الاستانة . وأكد السلطان فى حكمه ذاته " يامن كنتم فخر الدولة وخدمة الدين والشرعية ...

لا ينضم لنا الا الرجال الامناء ... العقاب والموت المؤكد لمن يرتكب السرقة والقتل فى مثل هذه الظروف»^(٧٣).

أسرع سليمان اغا فى تنفيذ اوامر السلطان فالقى القبض على عدد من ضباط الصكبانة وجنودهم، وارسل الى الاستانة يخبرها بذلك. وقد لاقت سرعة ودقة تنفيذ سليمان اغا للأوامر استحساناً كبيراً من قبل السلطان الذى بعث اليه خط همايوني شكره فيه على الجهود التى بذلها فى السيطرة على تصرفات الجنود الصكبانة^(٧٤).

مما تقدم نستطيع القول ان افراد الجيش الصكبانى، كانوا قد لبثوا عند حدود وضعهم الذى خطط له السلطان، رغم انهم صاروا أكثر قوة وأقل انضباطاً، غير ان السلطان محمود الثانى تدارك هذا الامر باصدار تعليمات، أكدت بضرورة التشدد فى اختيار جنود الجيش الصكبانى للحد من اعمال السلب والنهب، ومن الواضح ان احداً منهم لم تكن له موارد خاصة باستثناء ما كانوا يتسلمونه من رواتب من خزانة الايراد الجديد^(٧٥).

على الرغم من كل التصرفات التى قام بها الجيش الصكبانى والمرفوضة من قبل محمود الثانى الا انهم ظلوا مواليين للسلطان العثمانى، الموقف الذى ظهر واضحاً خلال الحروب التى خاضتها الدولة العثمانية مع روسيا. وقد عبر عن هذه الحقيقة مؤرخ معاصر للأحداث بقوله "لقد اظهر الجيش الصكبانى الجديد مهارات ومناورات قتالية جيدة ... خيرة رجال الحرب الروس"^(٧٦). وأبلغ دليل على تفوقهم هو ان نجاحاتهم الباهرة هى التى دفعت السلطان لان يسير بقوة فى الاصلاحات العسكرية الاخرى.

الهوامش

- (١) الانكشارية: وتعني الجنود الجدد، اسم كان يطلق على فرق المشاة النظاميين التى اسمها العثمانيون فى القرن الرابع عشر الميلادى، واصبحت اكبر قوة عندهم مكنتهم من الفتوحات الواسعة التى قاموا بها، ويرجع تنظيمهم الى عهد السلطان اورخان بن عثمان الاول (١٣٢٤-١٣٦٠م)، أنظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤٠.
- (٢) للتفاصيل عن فساد الانكشارية وتمردهم ضد السلاطين، راجع: نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الاخوة وفتنة الانكشارية، بيروت، ١٩٩١.

- (٢) التيمار: منح أراضي نظير خدمة حربية يلزم صاحبه ان يذهب الى الحرب وان يقدم عدد من الجنود أثناء الحرب، انظر: مادة تيمار، دائرة المعارف الاسلامية، ج ٦، ص ٣٣١.
- (٤) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: ١٢، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص ٧.
- (٥) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: ١٢، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص ٨.
- (٦) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: ١١، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص ٩.
- (٧) لم يرزق السلطان سليم الثالث باولاد لذلك اولى اهتماماً كبيراً باولاد عمه محمود وشقيقه مصطفى، وكان السلطان يفضل محمود ويعده الورث للعرش، انظر: Stanford Shaw, Between Old and New, The Ottoman Empire under Selim III(1789-1807), Cambridge, 1971, P.15.
- (٨) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم البحث: ٨٠٥، دفتر مهمة: ١٩٠، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٢هـ، ص ٨٩.
- (٩) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة: ١٨٠٨م، رقم الوثيقة: ٩.
- (١٠) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة: ١٨٠٨م، رقم الوثيقة: ٥٠.
- (١١) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: ١٢، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٢هـ، ص ٤٠.
- (١٢) يذكر اسمه في بعض المصادر العلمية، والكلمتان بمعنى واحد وهو حامل العلم، انظر: المصري، المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤.
- (١٣) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: ١٤، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٢هـ، ص ٦٠.
- (١٤) السكبانية: سكبان كلمة فارسية مكونة من مقطعين الاول "سك" وتعني الكلب، والثاني "بان" وتعني صاحب او حارس، فيكون المعنى الكامل "حارس الكلاب"، انظر: المصري، المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (١٥) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٢هـ، ص ٥٠.
- (١٦) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٢هـ، ص ٥٥.
- (17) YILMAZ ÖZTUNA, IKINIC Mahmud II, Ankara, 1989, S.16.

- (١٨) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: ١٤، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٣هـ، ص ٤٠.
- (١٩) ذكر الشناوي اقدام الصدر الاعظم مصطفى باشا بيرقدار على اشعال النار في اكداس البارود المخزون في احد الابراج التي تحصن فيها فوق السراي، مما ادى الى قتل اعداد كبيرة من الانكشارية نتيجة انفجار البارود، انظر عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج ١، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٥٢٧.
- (20) Edward Creasy, History of the Ottoman Turks ,London ,1877,P.510.
- (21) J.K.Birge, The Bektatashi of dervishes, London, 1973, P.50
- (٢٢) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم البحث: ٨٠٥، دفتر مهمة: ١٩٠، تاريخ الوثيقة: ١٢٢٣هـ، ص ٨٨.
- (٢٣) فقد تعرض عدد كبير من جنود سكبان جديد لعمليات تصفية من قبل الانكشارية، راجع ..
Oztuna, A.G.E, S.20
- (24) Birge, Op.cit., P.60.
- (25) Hans kohn, History of Modern Russia U.S.A, 1959, P.40.
- (٢٦) كان السبب الذي دفع السلطان للرضوخ لطلب الانكشارية الحريق الذي اشعلوه وحوفه من امتداده الى العاصمة، انظر: محمد فريدريك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٩٩.
- (٢٧) توصل العثمانيون والروس في عام ١٨١٢ الى تسوية معاهدة انهت الحرب الروسية العثمانية التي نشبت لمصلحة امبراطور فرنسا نابليون بونابرت، عرفت بمعاهدة بخارست التي نصت على ارجاع ولاشيا وملدافيا الى الدولة العثمانية وحصلت روسيا على المنطقة المحصورة بين نهر الدنيسترونهر بروت وهي بساربيا ، واكدت المعاهدة على جميع المعاهدات السابقة باستثناء معاهدة الحلف العثماني-الروسي لعام ١٨٠٥، التي منعت السفن الحربية الروسية حق المرور عبر مضائق البسفور والدردنيل ، للتفاصيل انظر:
M.S. Anderson, The Great powers and Middle East 1774-1923, London, 1970, P.28-29.

(٢٨) للتفاصيل عن الكيفية التي ترجم بها القضاء على آل سعود في شبه الجزيرة العربية،

انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥-

١٨١٨، القاهرة، ١٩٦٩ عبد الرحمن الرافي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١

(٢٩) عن الدور الذي مارسه الدول الأوروبية في أحداث اليونان، انظر:

J.Marriot, The Easten Question, Britain, 1940.

(٣٠) احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٨٨.

(٣١) Harold Temperley, England and The Near East,

London, 1964, P. 7.

(٣٢) Henry Dodwell, The founder of Modern

Egypt, U.S.A, 1976, P. 66.

(٣٣) البكتاشية: نسبة الى حاجي بكتاش، وهو الولي الذي استقيت الطريقة البكتاشية منه

ومن هنا اوحى اليهم بارتداء لباس راسهم الغريب ذي الزائدة الاسطوانية الطويلة، كما

ارتبط تأسيس الجيش الانكشاري بها، انظر: المصري، المصدر السابق، ص ٤٧-٤٨.

(٣٤) اعيان: وهم الافراد البارزون في جماعة من الجماعات او حكومة من الحكومات، انظر:

المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٣٥) سونيا محمد سعيد البنا، فرقة الانشكارية نشاتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال

المصادر التركية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٦٩-٣٧٠.

(٣٦) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة، خط همايون، تاريخ

الوثيقة: ١٢٤١هـ، ص ٢٥.

(٣٧) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة، خط همايون، تاريخ الوثيقة، غير مؤرخة، ص ٤٠.

(٣٨) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة، خط همايون، تاريخ الوثيقة، غير مؤرخة، ص ٤١.

(٣٩) يسمي العثماني حادثة القضاء على الانكشارية عام ١٨٢٦ بـ (الواقعة الخيرية) وهي

تسمية تركية للحادث يدل بالحساب الابجدي على تاريخ الواقعة بالسنة الهجرية

وتقاو لهم بها خيراً، انظر: المصري، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(٤٠) انظر نحن التقرير الذي ارسله السفير العثماني في روسيا الى السلطان محمود الثاني،

مركز الوثائق التاريخية بدمشق، رقم الوثيقة: ١٥٨٧، تاريخ الوثيقة: ١٨٢٥م

- (٤١) الارشيف العثمانى باستانبول، نوع الوثيقة: حكم همايونى، تاريخ الوثيقة: ١٢٤١هـ، ص.٤.
- (٤٢) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: D-33802، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.
- (٤٣) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: S-2834، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.
- (44) Robert G.Landan, The Emergence of the Modern Middle East, New York, 1970, P.49.
- (45) Oztuna, A.G.E, S.22.
- (٤٦) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: M-45661، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.
- (٤٧) انكه لهارد، تاريخ الاصلاحات والتنظيمات فى الدولة العثمانية، ترجمة محمود علي عامر، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٣٢-٣٥.
- (48) William Miller, The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London, 1966, P.220.
- (٤٩) محمود علي عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دمشق، ٢٠٠١، ص ١٩٥.
- (٥٠) محمد امين فكرى، رسالة فى الاصلاح، ترجمها عن التركية حمد الله امين، مخطوط فى مكتبة الاسد بدمشق تحت رقم (١٧٥٤٤/م)، ورقة ١٠.
- (٥١) وهو من ولاية الدولة العثمانية المحنكين، كان والياً على البانيا وقد خرج عن طاعة الدولة العثمانية معلناً العصيان، انظر: Oztuna, A.G.E, S.30.
- (٥٢) بعد نجاح جيش صكبانى جديد فى مهمته عادت هذه القوات الى اسطنبول مكللة بالنصر، ففرح السلطان من نجاح قواته واغلق عليهم العطايا والهبات، انظر: الارشيف العثمانى باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، رقم الوثيقة: ٥٢/٤.
- (٥٣) فكرى، المصدر السابق، ورقة ١١.
- (٥٤) الارشيف العثمانى باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة: ١٨٢٧، رقم الوثيقة: ٧٨٥، ص ٩٠.
- (٥٥) الارشيف العثمانى باستانبول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص ٣٣.
- (٥٦) الارشيف العثمانى باستانبول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص ٤٠.
- (57) C.J.S Eversly, The Turkish Empire, London, 1922, P.P.40-42.
- (٥٨) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: S-4302، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.

- (٥٩) وثيقة رقم (٧٠) مقيدة بالدفتار نمرة (20) معية تركية بتاريخ ١٨٢٩م 40/1/8.
- (٦٠) وثيقة رقم (٤٠) مقيدة بالدفتار نمرة (21) معية تركية بتاريخ ١٨٢٩م 50/2/7.
- (٦١) مجهول ، نبذة في ذكر ملوك ال عثمان ، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق (مايكرو فلم) تحت رقم (٧٨٥٦) ، ورقة ١٥٤.
- (٦٢) منطقة تقع في اطراف اسطنبول
- (٦٣) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث : ٧٠٥ ، دفتر مهمة : ١٨٠ ، تاريخ الوثيقة : غير مؤرخة ، ص ٤٠.
- (64) Creasy, Op.cit, P.550.
- (٦٥) نخلة قلفاط ، تاريخ روسيا الحديث ، ج ٣ ، بيروت ، ١٨٨٨ ، ص ٣٩٠.
- (٦٦) محمود شوكت ، التشكيلات والازياء العسكرية العثمانية ، ترجمة عن التركية يوسف نعيصة ومحمود عامر ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٨٨-٨٩.
- (٦٧) احمد جودت ، تاريخ جودت ، ج ٥ ، استانبول ، ١٣٠٣ هـ ، ص ٨٢٠.
- (68) Brenard Lewis, The Emergence of Modern Turkey, London, 1968, P.120.
- (69) Soviet Skaya, Istoricheskaya Encyclopedia, Vol.2, Moskva, 1961, p.60.
- (70) Roderic Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856-1876, London, 1963, P.45.
- (٧١) مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، رقم الوثيقة : ٢٨٨٠ ، تاريخ الوثيقة : غير مؤرخة.
- (٧٢) مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، رقم الوثيقة : ٢٨٨١ ، تاريخ الوثيقة : غير مؤرخة.
- (٧٣) الارشيف العثماني باستانبول ، نوع الوثيقة : خط همايون ، تاريخ الوثيقة : غير مؤرخة ، رقم الوثيقة : ١٠٠.
- (٧٤) الارشيف العثماني باستانبول ، نوع الوثيقة : خط همايون ، تاريخ الوثيقة : غير مؤرخة ، رقم الوثيقة : ١٠١.
- (٧٥) مجهول ، نبذة في ذكر ملوك ال عثمان ، ورقة ١٥٥.
- (76) Kohn, Op.cit., P.99.

المصادر والمراجع

أ- الوثائق

١- الوثائق غير المنشورة

- (أ) وثائق ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول (محفظة في مركز التوثيق الاعلامي ، بوزارة الاعلام سابقاً -بغداد، دفتر مهمة ١٨٠، ١٩٠.
- (ب) وثائق الارشيف العثماني باستانبول، خط همايون، دفترنامه همايون: ١٣، ١٢، ١١، ١٤.
- (ج) وثائق الارشيف معهد الدراسات القومية والاشتراكية-معهد القائد المؤسس سابقاً -بغداد.
- ١- وثيقة رقم (٢٠) مقيدة بالدفتر نمرة (٢٠) معية تركية ١٨٢٩م.
- ٢- وثيقة رقم (٤٠) مقيدة بالدفتر نمرة (٤٠) معية تركية ١٨٢٩م.
- (د) وثائق موجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق في الجمهورية العربية السورية، رقم ١٥٨٧، ٢٨٨١، ٢٨٨٠.

٢- الوثائق المنشورة

- 1- M.S. Anderson ,The Great Powers and Middle East 1774-1914, NewYok,1970.

ب- المخطوطات

- ١- فكري ، محمد امين: رسالة في الاصلاح، ترجمها عن التركية حمد الله امين، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق تحت رقم (١٧٥٤٤/م).
- ٢- مجهول: نبذة في ذكر ملوك ال عثمان، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق (مايكروفيلم) تحت رقم (٧٨٥٦).

ج- الكتب باللغة العربية والمترجمة

- ١- البنا، سونيا محمد سعيد: فرقة الانكشارية نشاتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٢- الرافي، عبد الرحمن: عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١.

- ٣- الشناوى ، عبد العزيز محمد : الدولة العثمانىة دولة اسلامىة مفترى عليها ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ٤- المحامى ، محمد فريدبك : تاريخ الدولة العلىة العثمانىة ، بىروت ، ١٩٦٧ .
- ٥- المصرى ، حسان مجىب : معجم الدولة العثمانىة ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- ٦- دائرة المعارف الاسلامىة (الترجمة العربىة) ، مادة تىمار ، ج٦ .
- ٧- شوكت ، محمود : التشكىلات والازياء العثمانىة ، ترجمة عن التركىة يوسف نعىسه ومحمود عامر ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- ٨- قازان ، نزار : سلاطىن بنى عثمان بىن قتل الاخوة وفتنة الانكشارىة ، بىروت ، ١٩٩٢ .
- ٩- قلفاط ، نخلة : تاريخ روسيا الحديث ، ج٣ ، بىروت ، ١٨٨٨ .
- ١٠- عامر ، محمود على : الدولة العثمانىة تاريخ ووثائق ، دمشق ، ٢٠٠١ .
- ١١- عبد الرحىم ، عبد الرحىم عبد الرحمن : الدولة السعودىة الاولى ١٧٤٥-١٨١٨ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ١٢- لىهارد ، انكه : الاصلاحات والتنظىمات فى الدولة العثمانىة ، ترجمة محمود على عامر ، دمشق ، ٢٠٠٨ .
- ١٣- مصطفى ، احمد عبد الرحىم : فى اصول التاريخ العثمانى ، بىروت ، ١٩٨٢ .

د- الكتب الاجنبىة

- 1- Birge, J.K : The Bektatashi of dervishes, London, 1937.
- 2- Creasy, Edward: History of the Ottoman Turks, London, 1877.
- 3- Davison, Roderic: Reform in the Ottoman Empire 1856-1876, London , 1963.
- 4- Dodwell, Henry: The founder of Modern Egypt, U.S.A, 1976.
- 5- Kohn, Hans: History of Modern Russia, U.S.A, 1959.
- 6- Landen, Robert G: The Emergence of the Modern Middle East, NewYork, 1970.

- 7- Lewis, Brenard: The Emergence of the Modern Turkey, London, 1968.
- 8- Marriot, J: The Eastern Question, Britain, 1940.
- 9- Miller William: The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London, 1966.
- 10- Shaw, Stanford: Between Old and New, The Ottoman Empire under Selim III (1789-1807), Cambridge, 1977.
- 11- Temperley, Harold: England and the Near East, London, 1964.

هـ- الكتب العثمانية

- ١- جودت ، احمد : تاريخ جودت ، ج ٥ ، استانبول ، ١٣٠٢هـ.

و- الكتب التركية الحديثة

- 1- Öztuna, Yilmaz: İkinci MAHUD II, Ankara, 1989.